ولقد ارتفع عدد «الحوادث» على الحدود الأردنية من ٩٧ حادثة في عام ١٩٦٧ (بعد حزيران ــ يونيو) إلى ٩١٦ حادثة في عام ١٩٦٨، ثم إلى ٢٤٣٢ في عام ١٩٦٩، و١٨٨٧ (لغاية شهر آب ــ اغسطس عام ١٩٧٠) . ثم تدنّى العدد إلى ٤٥ في عام ١٩٧١. أما في غزة، فتختلف الحال قليلاً، فالفدائيون يتحركون من الداخل، وقد بقي عدد «الحوادث» مرتفعاً رغم الانخفاض الذي حصل سنة ١٩٧١[١١]. وقد قوبلت النجاحات الأولى لهذا الكفاح، وخصوصاً بعد انهزام الجيوش العربية، بحماسة هائلة لدى الجماهير الفلسطينية والعربية وكذلك لدى منظمات المقاومة. وعلى الرغم من التأكيد المتكرر أن الكفاح سيكون طويلاً، فقد تنامى الشعور بأن النصر قاب قوسين أو أدنى.

في تلك الأجواء حددت حركة فتح أربع مراحل في العمل الفدائي: «اضرب واهرب»؛ ثم «المواجهة المحدودة»؛ ثم «الاحتلال المؤقت»؛ ثم «الاحتلال الثابت» (للمناطق المحررة). وقد اكدت تصريحات عديدة في النصف الثاني من العام ١٩٦٩ ومطلع العام ١٩٧٠ انه قد تم اجتياز المرحلة الثانية في معركة الكرامة (٢٢ آذار ــ مارس ١٩٦٨)، والمرحلة الثالثة بالاحتلال المؤقت لقرية «الحمه» (٢ أيار ــ مايو ١٩٦٩)، وأن المقاومة الفلسطينية تدخل في الطور الأخير[١٢]. وهناك تصريحات أخرى أقل إفراطاً في التفاؤل[١٣]. إلّا أن الشعور العام بقي هو نفسه وبقيت المبالغات مسيطرة.

هذه التقديرات سرعان ما دحضها الموقف الخطير الذي وُجدت فيه المقاومة الفلسطينية إزاء البلدان العربية، كما كذّبتها العمليات في الضفة الغربية وفعالية الرد العسكري الاسرائيلي الذي أدى، منذ مطلع ١٩٧٠، الى تقلّص امكانيات المقاومة وقواعد دعمها في الداخل بفعل القمع، فضلاً عن بعض حالات التواطؤ.

إلّا أن هذا الفشل الذي مُني به الكفاح المسلح، وهو فشل جزئي (وفي الواقع فان اعظم النتائج التي حققتها منظمة التحرير، خلال المرحلة المعنيّة، هي ذات صفة سياسية)، لا يمنع القول انه من غير الممكن أن نفهم مناقشات تلك الفترة، إلّا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن منظمة التحرير اعتبرت الكفاح المسلح الشكل الوحيد من النضال الفلسطيني، كما اعتبرت ان النصر هو في متناول اليد.

هذا الدور المعطى للكفاح المسلح يفسر أيضاً رفض كل حل سياسي، من القرار رقم ٢٤٢ إلى مشروع روجرز. وقد أعطى هذا النهج مفاعيل سلبية واضحة، فقد حرم المقاومة الفلسطينية من العديد من التحالفات الممكنة على الصعيد الدولي، ودفعها إلى مواجهة بعض الأنظمة العربية؛ وبشكل خاص نظام الرئيس عبدالناصر في. أعقاب قبوله بمشروع روجرز.

(ب) **العلاقات مع البلدان العربية**: وجدت المقاومة الفلسطينية نفسها في تناقض يحكُم تاريخها كله، وحتى يومنا هذا. فهي، من جهة، لا يمكنها التفكير (ولو انها في البداية فعلت ذلك لبعض الوقت) بالانتصار من غير مساندة البلدان العربية؛ ومن جهة ثانية فان تطورها يؤدي، في حد ذاته، الى تناقضات مع هذه البلدان، وتقع هذه